

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير  
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات  
manarat

WWW.almadasupplements.com

العدد (4284) السنة السادسة عشرة - الأربعاء (3) تشرين الأول 2018

ألان تورين

# الحدائثة وما بعدها في نظر آلان تورين

ياسين النصير

تتوازن طروحات هذا الكتاب مع مفهوم "التقدم والتنمية"، هذا المفهوم الذي أسقط اليوم مبدأ التوازنات الدولية التي كانت قائمة بين الشرق والغرب. إذ يبدو من عنوان الكتاب أن الحدائثة وما بعد الحدائثة هما ميدانه الفعلي. فالنص يذهب بنا إلى السوسولوجيا وعلم النفس والفكر والفلسفة وبنية المجتمع، مما يعني أن الحدائثة لا ترتبط بالأدب أو الثقافة أو المنتج الاعلامي الحديث، بل تتصل بالبننى المكونة الكبيرة للمجتمع.



في مقدمته واصفاً إياها من مهمات الكتاب الذي يكشف عن طريق السوسولوجيا سبل تقويم ما يصبو إليه. ولهذا سار الكتاب في أول مهماته بمنهجية نقد الاتجاهات السوسولوجية السابقة في الحدائثة، والقائمة فعلا على فاعلية الأفراد في الابتكار وفي التخطيط، وهذا الاتجاه الذي تسيّد ما يمكن تسميته بديكتاتورية المؤسسة الاقتصادية، أصبح عائقاً أمام تطور القرارات الذاتية للأفراد من خارج هذه المؤسسة. وهو ما بنت الرأسمالية الحديثة عليه تصورها لندرة الاكتشافات والمبادرات والافعال الفردية الخالقة. آلان تورين يرى العكس في تبني اتجاه السوسولوجي في ما يخص قدرات الأفراد، ففاعلية الأفراد لم تعد وحدها قادرة على مسאיرة تطورات المجتمع المستجدة



آلان تورين

وهكذا فالتفكير في موضوع حرية الشخص بشكل خاص، هو أصلاً تفكير في الإنسان ككل، والعكس صحيح. من هنا نفهم الدلالة العميقة لما قاله غرامشي: عندما اعتبر أن السؤال «ما الإنسان؟» هو في الأصل سؤال عن مصيره الإنسان، أي: هل يمكن أن يتحكم الإنسان في مصيره الخاص ويسيطر عليه؟ هل هو حر بما يكفي؟ وهل يمكن أن يصبح حراً أكثر، وبالتالي ما السبيل إلى تقليص الموانع وتوسيع دائرة حريته؟

## سارتر

ينظر سارتر في كتابه «الأساس الوجود والعدم»، وفي حواره مع بيير نافيل: المنشور بعنوان «الوجودية نزع إنسانية للوجود الإنساني باعتباره فعلا acté وليس حالة état» - وفهم هذا التمييز الذي أقامه سارتر، لا بد من أن نتخيل اللحظة الأولى التي وجدنا فيها عراة في هذا العالم إلى جانب كائنات أخرى في الطبيعة. ما أصبح على يد المؤسسات الكبيرة قوة قائمة لتيارات غير أوروبية. فدور المثقفين، كما يرى، ليس هو الربط بالمؤسسات الاقتصادية، إنما هو رفضها جملة وتفصيلاً لأنها تحولته إلى سلعة في السوق ونمط من انتاج بضائع مألوف. والكتاب بعد ذلك لا يغيب عن فاعلية الحركات السياسية في العالم غير الأوروبي، فهو يشير إليها خفية وإلى دورها اللاحق في تغيير مسارات العالم اللاحقة. ومن هنا فهو سوسولوجيا يسطط التوازنات الكبرى، وإن بدت الآن فاعلة على المستويين السياسي والعسكري، ففي عالم اليوم وبعد أن مهد القرن العشرين مفهوم الشعبي، بعد الرأسمالية في القرن العشرين والكولنيالية في القرن التاسع عشر، يعود بنا إلى فاعلية الإنسان بمختلف فواعلياته ومواقفه من دون اعتبار لأي موازات دولية لاحقة، فالشعبية قد تقضي على بقايا كل الصور المزمّنة في التاريخ المعاصر.

يستمد النقاش الفلسفي حول حرية الإنسان وقيّمته، من التصورات الفلسفية الكلاسيكية التي أعلت من قيمة الأبعاد الجوهرية في الإنسان بوصفه شخصاً، وبكونه مفكراً وعاقلاً وأخلاقياً وحقوقياً وإيكولوجياً. وهذا ما قوضته العلوم الإنسانية بمختلف مقارباتها السيكولوجية والسوسولوجية والأثربولوجية، التي ركزت في دراساتها على الحتميات التي نظرت إلى الشخص باعتباره حراً مطلقاً. فإذا كنت أُميّز نفسي بكوني كائناً حراً، وحريتي نابعة من إرادتي العاقلة، التي تمنحني الحق في الاختيار والتمييز بناءً على وعيي التام بهذا الاختيار، فإنني في مراتٍ كثيرة، أجد نفسي في مواقف أتصرف فيها أو أسلك فيها انطلاقاً من إكراهات داخلية (نفسية / بيولوجية)، أو خارجية (اجتماعية وسياسية وقانونية وثقافية) - بالمعنى التايلوري النسقي الشامل لمفهوم الثقافة.

الزاهيد مصطفى

# الحرية والإنسان..

# بين وجودية سارتر وفاعلية آلان تورين

يقنّتها – هكذا يكون الوجود في مصميه عند سارتر هو انتقال من الإمكانية إلى الواقعية، وهو ما يعني بحرية الإرادة الإنسانية عند سارتر. فالوجود الطبيعي الممنوح لنا قبل أي مجهود شخصي لا يحيل إلى واقعة تجريبية، بل هو وجود لا يفصل في ماهيته عن فعل الحرية الذي يقوم به الإنسان ويعبر عنه من خلال فعل الاختيار. فأنا من أختار نفسي، وأحدد مصري وأخلق ذاتي، لأن الوجود عند سارتر منمّاه مع الاختيار. فالوجود في العنق، ليس إلا فعل اختيار يقدم عليه الشخص. فإذا كان ديكرت يقول «أنا أكره». فأنا إنن موجود. ففي

ظروف خاصة، فأى حدث جمعي يقع في حياتنا لا يمكن اعتباره حدثاً مفاجئاً قد صدر من الخارج، ثم تلبس بنا مجرد تلبس: إن الحرب التي جندت لها هي حربي أنا، فهي صورتي ومثالي، وهي الحرب التي أستحقها، وهذا ما عبر عنه جيل رومان بقوله، «ليس في الحرب ضحايا بريئة»، فأنا إنن مسؤول عن تلك الحرب، لأنني ما دمت لم أتخلف عنها فكأنني أردتها. وتبعاً لذلك علي تحمل مسؤ ولبني تجاه الخيارات التي أقدم عليها، وهذا ما يؤكد سارتر بقوله «إنني مسؤول عن كل شيء، ومسؤوليتي تمتد حتى على تلك الحرب التي اشتركت فيها، كأنني أنا الذي أعلنتها». ما يمكن الخلوص إليه بوضوح مع سارتر، هو كون الشخص حراً حرية مطلقة، لكنه مسؤول في الآن نفسه عن أفعاله واختياراته، لأنه هو الوحيد الذي اختارها بمحض إرادته. وهذا ما يوضحه سارتر في «الوجودية نزع إنسانية» بصريح القول: «وهكذا فإننا لا نجد خلفنا عذراً، نوجد وحدنا من دون أعذار». وهذا ما أعبر عنه بالقول، «الإنسان محكوم عليه بالحرية». محكوم عليه لأنه ليس هو من خلق نفسه، في حين أنه مع ذلك يكون حراً، لأنه بمجرد ما يلقي به في العالم يكون مسؤولاً عن كل ما يفعله. ولا يقر الوجودي بسلطان الإنفعال. إنه لن يتصور أبداً انفعالا جميلاً قد أصبح سيلاً جارفاً يؤدي حتماً بالإنسان إلى أفعال معينة، فيكون ذلك بمثابة العذر. إنه يعتبر الإنسان مسؤولاً عن انفعاله.

## تصور آلان تورين

في كتابه الموسوم «براديعما جديدة لفهم عالم اليوم»، يناقش آلان تورين الذات الفاعلة وعلاقتها بالحتميات الاجتماعية، موجهاً نقداً لكل التصورات الميتافيزيقية التي نظرت إلى الإنسان من خلال دوره الاجتماعي (هربرت ميد مثلاً)، أو من خلال التزامه بقضايا عمومية (مونيبي)، أو من خلال فردانيته (ايركسون). بل يدافع آلان تورين عن كون الشخص كجوهر أو كوجود فردي في عالم صوري خالص، بل يعد مقولة قادرة على مقاومة

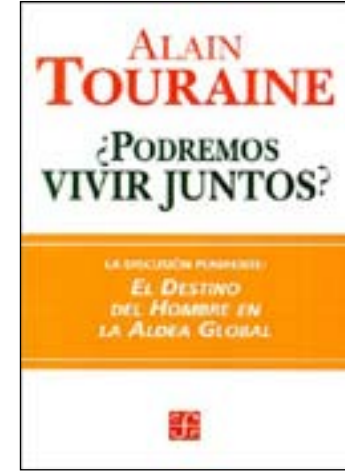
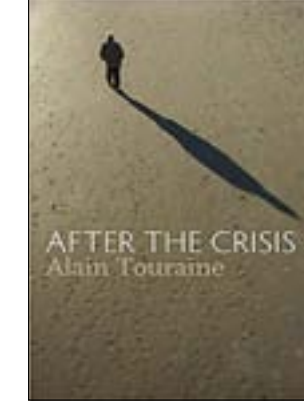
الابتدال الذي يعرفه العالم اليوم، وكذلك الانحرافات التي أدى إليها تطور الحدائثة الغربية. كما وجه آلان تورين نقداً لاتعا للفلسفة الديكارتية التي تنظر لحرية الإنسان من خلال قدرته على الإنعزال والتحكم في الرغبات والأهواء، بل تكمن حرية الشخص الذي عوضه آلان تورين بالفاعل، أي بالذات الفاعلة التي تكمن حريتها في فعلها المقاوم لكل أشكال الابتدال، والتحكم التي تفرضا وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية وأنظمة السلطة. فالفاعل لا يستمد حريته من خلال وعيه بفردانيته، لأن الفردانية هي مقولة أيديولوجية غايتها عزل الأفراد من أجل التحكم بهم.

فحرية الذات الفاعلة عند آلان تورين، تستمدها من خلال «الصراع ضد نقيض الذات وأشكال منطق السلطة» على حد قوله. إن ما يؤكد عليه آلان تورين، هو أن الذات لا تكون حرة إلا إذا قاومت عالم الاستهلاك وكل وسائله الأيديولوجية. وفي هذا الصدد يقول آلان تورين، في كتابه «براديعما جديدة لفهم عالم اليوم»: «إنني أجد الذات الفاعلة بمقاومتها عالم الاستهلاك اللا شخصي أو عالم العنف والحرب. إن الذات الفاعلة هي استحضار للذات. هي إرادة العودة للذات بعكس تيار الحياة العادية. إن فكرة الذات الفاعلة تستدعي إلى خاطري فترة النضال الاجتماعي، إضافة إلى فكرة الوعي الطبقي والشعور القومي في مجتمعات سائفة، لكن بمضمون مختلف ينشأ عن كل تظلم خارجي، وينتج مع بقائه صراعياً نحو الذات بالكامل، لذا كان أول ما خطر ببالي، من أجل توضيح فترة الذات الفاعلة، صور المقاومين، صور المقاتلين من أجل الحرية».

هكذا فحرية الشخص ليست معطاة سلفاً، ولا يمكن الوعي بها في معزل عن حركية الواقع، بل الذات الفاعلة لا تكون حرة إلا من خلال نضالها المستمر على جميع المستويات الثقافية والسياسية من أجل الحصول على حريتها. ويمكن إجمال ما قلناه في كون الحرية إبداعاً مستمراً يسهم فيه الكائن الإنساني بانخراطه في حركية الواقع.

عن الحوار التمدن

# 10 أسئلة إلى عالم الاجتماع الفرنسي آلان تورين..



آلان تورين تأثر منذ شبابه بأشكال عديدة من الرافض السياسي، وبناءً عليه، جعل تورين سوسولوجيا مناخلاً بكتاباته التي تتميز بجدة منظورها إذا لم نقل منظورها الثوري.

لآلان تورين عدة مؤلفات فعلاً أغنى بها المطبخ السوسولوجي والتي من بينها: Critique de la modernité ١٩٩٨ براديجم جديد: من أجل فهم عالم اليوم ٢٠٠٥، ١٩٩٨ الحركات الاجتماعية، ٢٠٠٥ ما هي الديمقراطية؟، ومؤلفات عدة أخرى... وفي ما يلي جواب السيد آلان تورين على عشرة أسئلة:

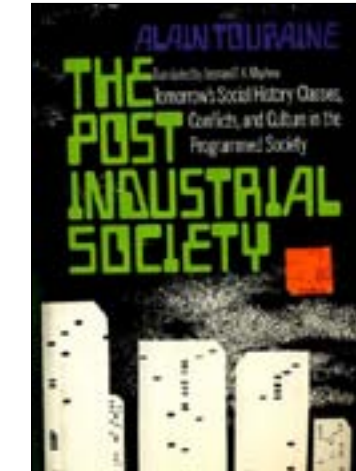
السؤال الأول:

عنوان كتابك «ما بعد الأزمة»، هل هذا يعني أن الأزمة قد انتهت؟  
 - بالطبع لا. أو لا ينبغي الحديث عن أزمنة وليس عن أزمة واحدة فقط. أول أزمة حدثت هي أزمة الاقتصاد المالي التي كانت أن تدمر الاقتصاد العالمي، وقد أحدثت قطيعة بين الاقتصاد والمجتمع. لكن هذا الفصل بين الإثنين كان مطويًا داخل بنية التطور ذاتها على المدى البعيد. لهذا ينبغي الكف عن محاولة إقامة علاقة بين الاقتصاد والمجتمع، فهي مستحيلة في شكلها الحالي. فما وراء المظاهر الباتولوجية للأزمة، فإن هناك نزعات إما أنها تتأكد أو يسرع تطورها على المدى البعيد

السؤال الثاني:

ما الامكانات المتاحة للخرج من الأزمة؟  
 - لا أرى إلا إكثنتين، فإما أننا سنمر من أزمة إلى أزمة إلى أن نصل إلى الكارثة النهائية، وهذه للأسف هي الإمكانية الأكثر احتمالاً لأننا لا نهتم بالاستقبال، بل نبحث عن تخفيف الأضرار مع علمنا أننا سنورث لأبنائنا مستوى معيشة أقل من مستوانا بسبب الارتفاع المهلول للديون العمومية. الاحتمال الثاني، هو أن المجتمع الذي عرفناه لم يعد يوجد، وأنه لكي نعارض العولمة فلم يعد بإمكاننا الاعتماد على إصلاحات اجتماعية، لكن فقط استناداً على استعداد مبدأ هو فوق المجتمع مثلما هو عليه حال مبادئ حقوق الإنسان.

ينبغي أيضاً التغيير الراديكالي لنموذج



تدمير العالم التقني.

هذا هو الطريق الوحيد الممكن. فمن أجل إعادة بناء المجتمع ينبغي الأخذ بعين الاعتبار متطلبات الطبيعة، فكلما ازدادت

يعتبر آلان تورين من بين أهم علماء الاجتماع المعاصرين. وهو فرنسي الأصل، من مواليد سنة ١٩٢٥، عمل باحثاً في المجلس الوطني للبحوث الفرنسية حتى سنة ١٩٥٨، أسس مركز دراسات علم الاجتماع العمل في جامعة تشيلي في سنة ١٩٦٠، وأصبح باحثاً في إيكول «إيتوديس» في العلوم بباريس، اشتهر بتطويره مفهوم مجتمع ما بعد الصناعي، اهتم بدراسة الحركات الاجتماعية، وكتب الكثير في هذا المجال، ويحظى تورين بشهرة واسعة في أمريكا اللاتينية وفي أوروبا، حصل في سنة ١٩٩٨، على جائزة «أمالفي Amalfi»، الأوروبية لعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية، وفي عام ٢٠٠٤ تلقى تورين درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة «فالبرايسو» في تشيلي، وفي سنة ٢٠٠٦ تلقى درجة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الوطنية في «سانت مارتن»، وفي ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٦ من جامعة كولومبيا الوطنية، وفي سنة ٢٠٠٨ تلقى أيضاً درجة دكتوراه فخرية من جامعة «مايوردي سان ماركوس» في ليما.

السؤال الرابع:

هل هذه الأزمة ثقافية أيضاً؟  
 - نعم، لأن الأمر يتعلق أولاً بالمعرفة، وثانياً، يجب التخلص من التقابل المغفل بين الثقافة والثقافة الشعبية. بينما نحن نستنتج أن فرنسا تعيش يوماً بعد يوم في عالم لا تفهمه وفي انكفاء على نفسها، إن وضعية الأزمة تترقّ الفهد الذي يحس بالاستلاب في وجوده وتلقه وتفسده، وهذا ما يمكن أن يهدم كل ثقافة.

فإزاء هذا الهجوم العام للأزمة ينبغي أن يكون هناك جواب مهم وجماعي، ينبغي للضحية أن يصبح فاعلاً. لكن الأزمة الحالية هي أكثر من أزمة، إنها تجعل على تغيير نوع من المجتمع إلى آخر، وهذا التغيير سيكون له بالضرورة نتائج على الثقافة.

السؤال الخامس:

بماذا تفسر سكوت المثقفين؟  
 - كثير من المثقفين استسلموا لفكرة مفادها أن هناك هيمنة شاملة على «الاجتماعي»، وأنه لا يمكن فعل أي شيء، اللهم إلا أنه تلك الهيمنة. وهذا ما يؤدي إلى انتحار سياسي، لا نقبل شيئاً لأننا نعتقد أنه لا يمكننا فعل أي شيء، مع أن حراك الأفكار هو الذي يبدأ ويعتمد ويغذي الكائن الإنساني بامتلاكه حقوقاً وبعونه بمعنى وجوده وكيونته. فمن جهة هناك الذات الحاملة للحقوق، ومن جهة أخرى هناك العولمة التي من الواجب ضيقها وكبحها.

الاستغناء عن الأفكار العامة من أجل التفكير في العالم.  
 اليوم تبدو فرنسا مستنزفة، لكن أكثر ما يقلق ليس هو صمت المثقفين، بل هو صمت ضحايا الأزمة أنفسهم، وهو أمر مدهش.

السؤال السادس:

إن أزمة ١٩٢٩ تولد عنها عدة كتب والهمت كثيراً من الروايات، هل ترى الأمر نفسه اليوم؟  
 - بالنسبة للسوسولوجي إن التغيرات الاجتماعية يجب أن تلاحظ في الكتابات وفي الصور التي تبقى عموماً بمنأى عن المشاكل الاقتصادية الإنية. بينما نلاحظ أن الرواية والمسرح والسينما والفيديو والفنون التشكيلية والموسيقى والأغاني لا تتكلم إلا قليلاً عن هذه الأزمة ولا تستلهم منها إلا نادراً. وهذا ما يعطي الانطباع في كثير من البلدان -منها فرنسا- أن الفكر يكون أقوى إذا ابتعد عن الواقع التاريخي.

السؤال السابع:

ماذا يحدث للثقافة الجماهير في مثل هذا المحيط الجديد؟  
 - في المدن الكبرى تتطور ثقافة الجماهير في المواضيع التي تضعف فيها الثقافة الخصوصية. ليس هناك أية مفارقة في التأكيد على أن تطور الثقافة الجماهيرية يمشي بموازاة مع «فردنة» الممارسات الثقافية. لكن تفكك الأطر الاجتماعية والثقافية الكبرى أدى إلى تشكل الجماعات الهوياتية المغلقة. الكل يريد أن يتحدد انطلاقاً من هوية خاصة.

السؤال الثامن:

كيف يتصرف الشباب في هذا السياق؟  
 - الشباب مأخوذون بالاستهلاك، وهم لم يعودوا يدركون انتقالهم إلى حياة الكبار. وقد تم لهم للاعتماد على أنفسهم تترجع لديهم صعوبات كبرى في مقاومة اللحظة الراهنة. فالمال والجنس والمتعة، حتى عن طريق المخدرات، اختزلت في أشكالها الأكثر أنية. لكن ليس كل شيء مظلّم، ففي خضم هذه التحولات الثقافية والقيمية وفي العصر الرقمي والمواضات الجديدة للاتصال، فإن الشباب يطعمون إلى عيش تجربة شخصية بدل المساهمة في مهمات جماعية. هكذا رأيت شبابا يدورون حول العالم وآخرين ينضمون إلى حركات تعاونية.

السؤال التاسع:

في ما يتعلق بالاستهلاك، ما موقفك من تحول القراءة نحو الوسائل الرقمية؟  
 - سأستمر في القراءة على الورق مهما حصل. لكنني اليوم واع تماماً أن الغال يقرأ على الإنترنت أكثر بالمقارنة مع الجريدة. وهذا لا يعني بأي حال أن الورق والكتاب محكوم عليهما بالانقضاء. هناك تحول مهم بصدد الوجود، هذا بديهي، لكن عامة فإن ظهور تكنولوجيا جديدة لا يؤدي بالضرورة إلى اختفاء كلي لأخرى قديمة.

السؤال العاشر:

في كتابك «ما بعد الأزمة» تحيل إلى فنّان هو «بيير سولاج»، لماذا؟  
 - ما وراء السواد الذي اكتشفه سولاج هو جواب جيد للسواد الكارثي للأزمة. فهو يريدنا أنه علينا التخلي عن الارتباط بالضوء وبالأشياء التي يمنحها الضوء هيئات موضوعية. سولاج يحثنا على عبور جدار السواد ليكتشف انعكاس الضوء على حوائط لوحاته السوداء، أي ضوء الضوء فيسوا وراء السواد. هكذا ينبغي أن نرى، ينبغي أن نرى ما وراء الأزمة.

## ما هي الديمقراطية؟

### استعادة لسؤال قديم وإجابة في رؤية جديدة

عقيل يوسف



ما هي الديمقراطية؟ هو عنوان الكتاب الذي أصدره قبل أعوام عدة عالم الاجتماع الفرنسي (آلان تورين). ولكن ما هي وجهة هذا السؤال من جديد ولاسيما أن البعض الكثير يرى أن هذا المفهوم قد ترسّخ أو كاد في العقل والتاريخ.

فبعد كل الضجة والثورات والنضالات التي حصلت في العالم من أجل الديمقراطية وكل التضحيات والدماء التي سالت من أجلها، وبعد كتابة آلاف الكتب حول الديمقراطية وأزماتها وسبل الوصول إليها وتحققها.. إلخ.. هاشو تورين يعود لي طرح السؤال من جديد (ما هي الديمقراطية؟).

لعل مجرد طرح السؤال يشكّل تشكيكاً ونقداً لتلك الديمقراطية كما مورست منذ نشأتها وحتى الوقت الراهن. وبداية النقد تعود إلى بداية الفكرة، وقد انطلقت بحسب تورين عبر نقض الأفكار التقليدية والاستبدادية.

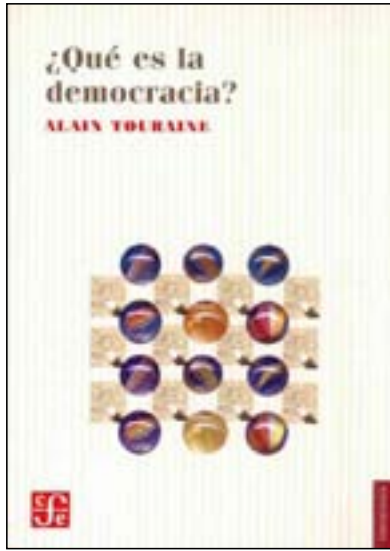
ولأن المشكلة الأساسية كانت، بالنسبة إلى أوروبا، هي التوتالية أي الشمولية في القرن العشرين، فقد أعطيت الأولوية في تعريف الديمقراطية لفكرة (الحد من السلطة)، الحد من سلطة الدولة عن طريق القانون أو عن طريق الاعتراف بالحقوق الأساسية. إذا فقد جاء التحديد الأولي للديموقراطية سلبياً باعتبار أنها تقيض التوتالية والديكتاتورية والشمولية. إلا أن الحد من سلطة الدولة، على ضرورته، لا يمكن أن يقدم ضماناً للديموقراطية وقد حذر الكثير من المفكرين والباحثين من غياب الدولة معترين أن (الدولة أسوأ الشرور قاطبة باستثناء تلك التي ستجوع عن غيابها).

والبديل من سلطة الدولة في المجتمعات المتقدمة (والحديث)، هو هيمنة سلطة رجال المال والإعلام. أما في المجتمعات الأقل تقدماً، فستخضع لهيمنة العصبية الطائفية أو العرقية أو الإثنية والهويات المنغلقة على نفسها.

من هنا يميّز طرح تورين بنقده ما يسمى الضمانات المؤسساتية والدستورية والقانونية وعدم كفايتها في تحقيق الديمقراطية، داعياً إلى تطوير فلسفة سياسية إيجابية تعتمد على (الذات الفاعلة). هذه الذات ليست عقلاً محضاً، ولا هي هوية ثقافية مخصوصة، ولا حرية شخصية مجردة، إنها ذات مركّب وتجمع بين هذه المعطيات، وهي، بما أنها (مركبة)، تستطيع أن تعيد تركيب العالم باستمرار.

من هنا، لم تعد الديمقراطية عند تورين (تشاركية) أو (تشارورية) بمقدار ما أصبحت (تحرية) و(تركيبية) في الوقت نفسه، وهي (تركيبية) لأنها تقوم على الاعتراف بالآخر، والاعتراف بتنوع المعتقدات والأصول والآراء والمشاريع.

وعندما يقول آلان تورين إن الذات ليست عقلاً فقط، فهو بذلك يقوم بد (نقد الحداثة) وهو بالمنااسبة عنوان كتاب للمؤلف نفسه، وهو نقد لمفهوم (الذات الفاعلة) عند هيجل (١٧٧٠-١٨٣١م) - من دون أن يسميه



الحوار بين الثقافات المختلفة وتقوم بدور التوفيق والجمع والدمج بينها.

وهو يدعو أيضاً إلى ترجمتها ببرامج تربوية تولى أكبر الأهمية للاعتراف بالآخر، والاعتراف بالفروقات والاختلافات، هذا الاعتراف الذي يقوم على المساواة باعتبارها المسألة المركزية والدائمة لكل الأفكار والسياسات الديمقراطية.

ولذلك كان لا بد من الإشارة إلى هذا الربط الذي قام به المؤلف بين (مبدأ المساواة) باعتباره مفهوماً مركزياً لكل الأفكار الديمقراطية، وتبنيه تعريف المفكر الكندي شارل تابلور للديموقراطية بأنها (سياسة الاعتراف بالآخر).

فهل الاعتراف بالفروقات والاختلافات هو في الوقت نفسه اعتراف بالمساواة؟ ليس في الاعتراف استسلام للواقع؟ أم كان عليه أن يقول بأنها سياسة (الاعتراف بالآخر)، أو على الأصح (اعتراف الأقران)، أي اعتراف الأخرية بالأقلية، والأغنياء بالفقراء والسلطويين بعامّة الشعب؟

الإلا أن الدعوة إلى المساواة التي يطلقها تورين لا تقتصر على المساواة في الحقوق أو على تكافؤ الفرص أو تقليص الفواصل المجتمعية والتوزيع المحقق للموارد المادية والرمزية.

إنها مساواة تقوم على (وعي والانتماء المشترك لجبال متعارف واحد لا يعتبر ملكاً لأحد، لا للفقراء ولا للأغنياء، لا للحديثيين ولا للقديما).

ويبدو أن تورين استفاد في نظريته هذه من طروحات وسياسات الحركات الاجتماعية والثقافية ذات البعد الكوني. إنها حركات وسياسات ما فوق تعددية وما فوق قومية.

ويبقى الرهان في النهاية مع آلان تورين على (الحركات المجتمعية) كما سميها، أو على القوى المدنية والأهلية كما هو متعارف على تسميتها. وهو ليس رهاناً على تشكيلها كجماعات ضغط سياسي فحسب، بل على عمل أفراد يربدون أن يكونوا قوى مجتمعية فاعلة ومنتجة للثقافة توفق بين أشكال التنظيم المجتمعي التي لا بد منها والذاتيات التي لا غنى عنها. إنها ثقافة ديمقراطية

جديدة مدعوة لإيجاد توجه جديد لتطور المجتمع.



الآن تورين

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير

مخبر

مكي

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الايخارج الفني

خالد خضير



طبعت بمطابع مؤسسة المدى



للاعلام والثقافة والفنون

الاقتصادية أو الثقافية أو العسكرية كلها، وغيرها، يستخدمها المؤلف من أجل شرح أطروحاته حول "نهاية المجتمعات"، بما تعنيه من "قطيعة". هذا مع تحديده القول إن هذه "النهاية" لا تعني كل مجتمع، ولكن بالتحديد تعني المجتمعات الصناعية التي تعاني من "القطيعة" بين الرأسمالية المالية والاقتصاد بالمعنى الرأسمالي المعروف.

### قاموس

يشرح المؤلف أن هناك "قطيعة" أخرى في السياق الرأسمالي الذي خلقته الثورة الصناعية الكبرى، ذلك أن تلك الثورة أعطت للمجتمعات الصناعية المتولدة عنها، منظومة ذات طابع اقتصادي واجتماعي عبر عنه قاموس بعيد إلى حد كبير عن السياسة، قاموس يتصدر فيه توصيفات البرجوازية و"الطبقة العاملة" والفكر والإضراب عن العمل والاستثمار وإعادة التوزيع و"الثروة".

والغالبية العظمى من هذه التوصيفات، عدت فارغة من المضمون، أو على الأقل غير عملية، حسب تعبير المؤلف. هذا في الوقت الذي قطع فيه الرأسمالية المالية مع الاقتصاد الحقيقي، ما سبب ذلك من انفجار أزمة عام 2008 على خلفية الهجوم الشرس الذي شنته الأسواق المالية العالمية على السياسات الاجتماعية والاقتصادية.

### بواد

يؤكد المؤلف أن هذا "الإضعاف للمؤسسات الاجتماعية" هو الذي يشكّل البوادر الأولى لـ "نهاية المجتمعات"، وهو الذي يفتح السبيل أمام "حقبة تاريخية جديدة". ذلك أن المجتمعات المعنوية تفقد القدرة على القيام بعمليات الضبط الذاتي لمسارها أو القيام بعملية تحول ذاتية.

والإشارة في هذا الصدد إلى مقولة ردتها الأسواق المالية عن قدرتها على الضبط الذاتي "أليات عملها وبالتالي، طالبت بهامش حرية أكبر في ممارسة نشاطاتها، من دون تدخل الدول". وهذا ما أثبت الواقع، كما يقول المؤلف، عدم صحته، بدليل انطلاق أزمة عام 2008 العالمية.

في المحصلة يربط الآن تورين بين "أطروحة" نهاية المجتمعات الصناعية وبين عدم إمكانية السيطرة، أو بالأصح استعادة السيطرة، على الأسواق المالية وضبط آليات عملها، هذا ما يصوغه بالتساؤل التالي: هل يمكن من جديد السيطرة على الاقتصاد المالي الذي غدا متوحشا وإعادته لصالح العمل الاجتماعي؟ ولكن كيف يمكن في ظل غياب البعد الاجتماعي محاربة المال القوي ودفعه للراجع؟

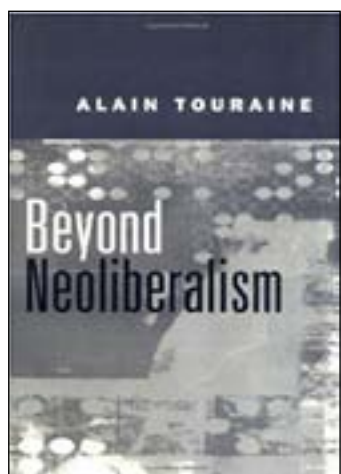
الإجابة التي يخرج بها المؤلف عن الأسئلة السابقة، تأتي بنوع من توقع "نهاية المجتمعات" بصيغتها الصناعية التقليدية.

### بطاقة

الآن تورين، مفكر وباحث فرنسي، من مواليد عام 1925 في إحدى بلدات منطقة النورماندي على شاطئ بحر المانش. ينتمي إلى أسرة ميسورة. كان والده طبيباً متقفاً وقد دفعه نحو عالم العلم والمعرفة.

انتسب عام 1945، بعد إكمال دراسته الثانوية بتفوق، إلى مدرسة المعلمين العليا في باريس، التي تخرج منها كبار أعلام فرنسا، من أمثال جان بول سارتر وريمون أرون وسواهما. قدم عشرات الكتب، عرف الكثير منها الترجمة إلى غالبية اللغات الحية الرئيسية في العالم، وترجم كتابين، من بين أعماله، إلى اللغة العربية، هما: نقد الحداثة، ما هي الديمقراطية؟

عن / البيان الإماراتية



### وقائع وأحداث

من الواضح أن أطروحة "نهاية المجتمعات" التي يقدمها المؤلف، وبشرحتها في هذا العمل، لا تقوم على مجموعة من الآراء النظرية والاجتماعية، السوسولوجية، ولكن تعتمد أيضاً على مجموعة من الوقائع والأحداث والحالات التي يعرفها العالم، حالياً.

هكذا يستحضر لدعم أطروحاته، الحركة الأمريكية المعروفة بشعارها حول "احتلال وول ستريت"؛ والتظاهرات التي شهدتها موسكو في نهاية السنة الماضية ضد فلاديمير بوتين؛ والأزمة المالية الكبرى التي دفعت، وتدفع، اليونان إلى حافة الإفلاس؛ والتهديد بالخروج من منطقة اليورو؛ وأحداث "الربيع العربي"؛ وسياسة باراك أوباما الخارجية.

هذه الأحداث الاجتماعية أو السياسية أو المجتمعات؟



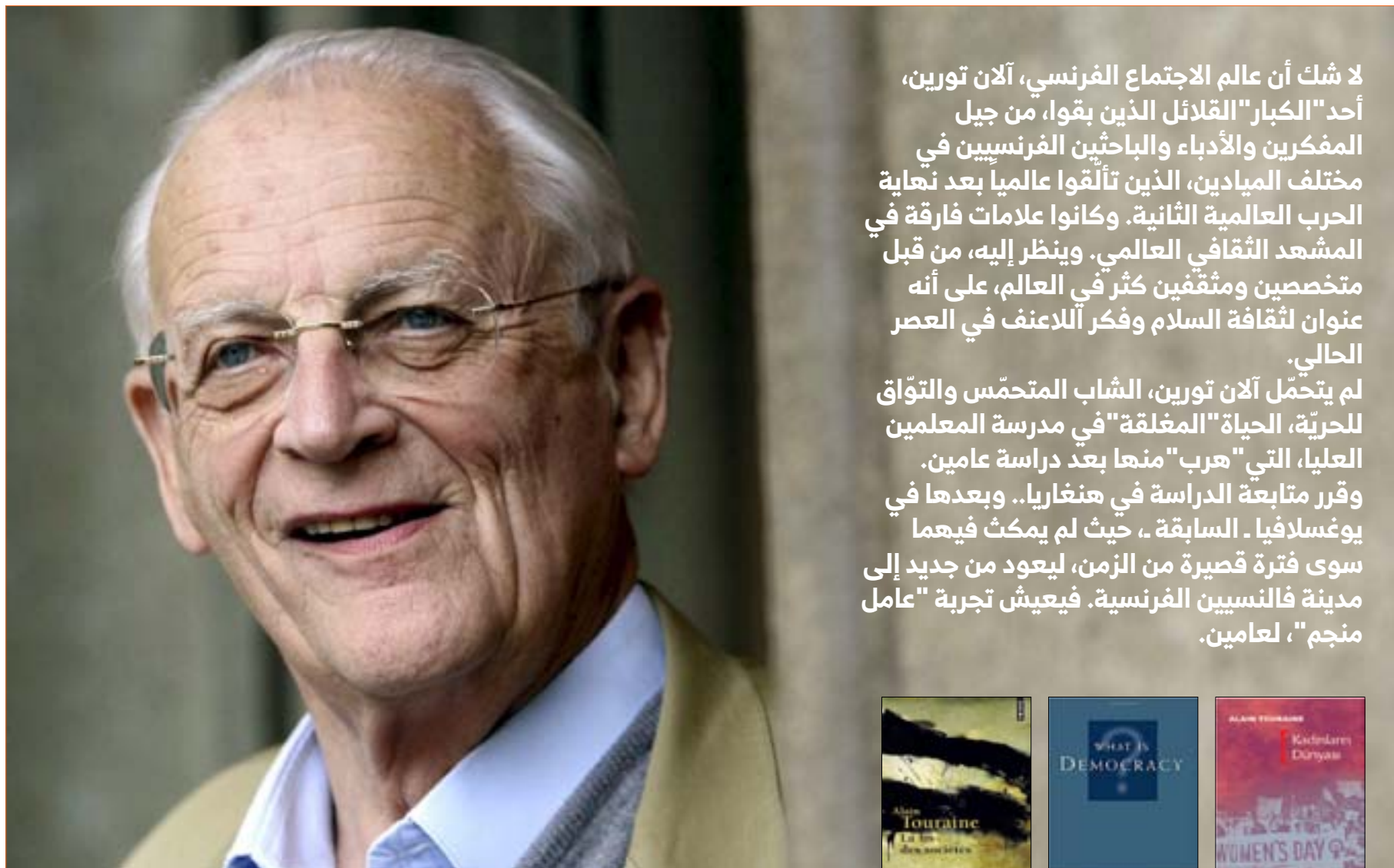
فرنسيس فوكوياما، مفاده أن "التاريخ انتهى"، بعد الانتصار الكامل والنهائي للمعسكر الرأسمالي ولنظرياته الليبرالية. واليوم يطرح عالم الاجتماع الفرنسي الآن تورين، مقولة أخرى تتعلق بـ "نهاية المجتمعات"، كما جاء في عنوان كتابه الأخير.

يجد الآن تورين الأساس الذي ينطلق منه للقول بـ "نهاية المجتمعات"، في الأزمة المالية والاقتصادية العالمية التي انطلقت من الولايات المتحدة الأمريكية في خريف عام 2008 لتشمل آثارها، القائمة حتى الآن، العالم كله.

### تساؤل جوهر

جوهر أطروحة تورين، مفاده أن الأزمة المالية العالمية الأخيرة، التي لم يشهد العالم مثلاً منذ أزمة عام 1929، مثلت في واقع الأمر "قطيعة عميقة" بين الرأسمالية المالية التي تجد تعبيراتها البليغة في الأسواق المالية، وبين الاقتصاد بالمعنى الرأسمالي الإنتاجي. تلك "القطيعة" تمثل دلالة واضحة، برأيه، على نهاية المجتمعات الصناعية التي قامت قبل حوالي قرنين من الزمن.

إن الآن تورين، المؤلف عالم الاجتماع الذي يقول بـ "نهاية المجتمعات" يطرح السؤال التالي: هل لا يزال مفهوم المجتمعات هو المنظر المناسب، الذي ينبغي علينا معه، رؤية ملامح الواقع الذي نعيشه اليوم أو سنعيشه في المستقبل؟ وفي مواجهة الأطروحة الشائعة التي ترى أن العولمة السائدة وضعت حداً نهائياً لـ "حقبة الدول"، يتساءل تورين عما إذا لم يكن علينا الاعتقاد بالأحرى، أننا نعيش نهاية "حقبة المجتمعات"؟



## نهاية المجتمعات.. آلان تورين.. تحليل شامل لتأثيرات الثورة الصناعية.. ثقافة السلام وفكر اللا عنف

### د. محمد مخلوف

بالاستمرار "التزامه الكامل" بمختلف القضايا التي يراها عادلة، والافت أنه كان في عام 1989 أحد المعارضين الأشداء لطرد فتيات مسلمات من مدرسة بلدة "كراي"، قرب العاصمة الفرنسية باريس، بسبب ارتداء الحجاب، ووقع أكثر من عريضة احتجاج في هذا الخصوص.

وهو أحد أعضاء لجنة الإشراف على الهيئة الفرنسية لتكريس عقد من الزمن لثقافة السلام وعدم العنف. كما رفض باستمرار، وبقوة، مقولة "صدام الحضارات" الشهيرة لصاحبها صموئيل هنتنغتون.

الأزمة المالية "قطيعة عميقة" تتنذر بتلاشي المجتمعات الصناعية الذي أصبح فيما بعد، رئيساً لجمهورية بولندا، بعد زوال نظامها الشيوعي.

### المثقف الملتزم

ما يميز مسيرة آلان تورين، أنه أظهر

للتفكير الجدي، لكن من دون أن أنام، مع ذلك، أمام التلفزيون". وساهم آلان تورين في عام 1959 في تأسيس مجلة "سوسولوجيا العمل" ودافع بعد خمس سنوات عن أطروحة لنيل دكتوراه أخرى تحت عنوان "سوسولوجيا الفعل الاجتماعي". وصدر له عام 1973 أحد أهم كتبه تحت عنوان: "إنتاج المجتمع".

ودفعه اهتمامه بعالم العمل والعاملين، للذهاب إلى بولندا في مطلع سنوات الثمانينات من القرن الـ 20، للتعرف عن قرب، على تجربة نقابية "تضامن" التي أسسها عامل الميكانيك لبش فاليسا، في مدينة غدانسك، الذي أصبح فيما بعد، رئيساً لجمهورية بولندا، بعد زوال نظامها الشيوعي.

منذ خمسينات القرن الماضي، لم يتوقف آلان تورين عن العمل والكتابة، من دون كلل ولا ملل. وكان قد صرح في شهر يوليو/ تموز الماضي، وهو في الثامنة والثمانين من عمره، ما مفاده: اعتقدت أنه عند شيخوختي ستكون لدي رغبة، أقل فأقل،

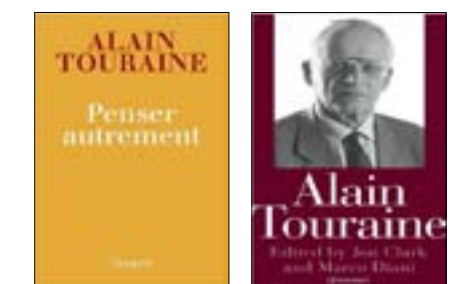
السوسولوجية، وضمن إطار بحثه، حصل من مؤسسة روكفلر "على منحة لعام واحد في جامعة هارفارد الأميركية، فسافر بعدها إلى تشيلي، حيث التقى دريانا اريناس، وتزوجها.

وهي التي كرس لها كتابه: "الكلمة والدم". ومنذ زواجه بها أصبحت منطقة أميركا الجنوبية، خاصة تشيلي، موضوع أبحاثه. وكانت الدراسات الميدانية الأولى التي أنجزها، من موقع الباحث في علم الاجتماع، هي على ورشات عمال المناجم "في تشيلي. نقطة انطلاق"

منذ خمسينات القرن الماضي، لم يتوقف آلان تورين عن العمل والكتابة، من دون كلل ولا ملل. وكان قد صرح في شهر يوليو/ تموز الماضي، وهو في الثامنة والثمانين من عمره، ما مفاده: اعتقدت أنه عند شيخوختي ستكون لدي رغبة، أقل فأقل،

لا شك أن عالم الاجتماع الفرنسي، آلان تورين، أحد "الكبار" القلائل الذين بقوا، من جيل المفكرين والأدباء والباحثين الفرنسيين في مختلف الميادين، الذين تألقوا عالمياً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وكانوا علامات فارقة في المشهد الثقافي العالمي. وينظر إليه، من قبل متخصصين ومثقفين كثر في العالم، على أنه عنوان لثقافة السلام وفكر اللا عنف في العصر الحالي.

لم يتحمل آلان تورين، الشباب المتحمس والتواق للحرية، الحياة "المغلقة" في مدرسة المعلمين العليا، التي "هرب" منها بعد دراسة عامين. وقرر متابعة الدراسة في هونغاري.. وبعدها في يوغسلافيا. السابقة، حيث لم يمكث فيها سوى فترة قصيرة من الزمن، ليعود من جديد إلى مدينة فالنسيين الفرنسية، فيعيش تجربة "عامل منجم"، لعامين.



وكانت تلك التجربة التي استمرت قرابة عام كامل ذات قيمة مفصلية في توجهه نحو البحث والتأمل في المسائل المتعلقة بالصناعة وعالم العمل، وبكل ما يمس حياة العاملين. هذه المسائل وجدت صداها، بل حضورها الكامل، في مسيرته كباحث وك مؤلف.

### مسيرة زاخرة

قدم تورين مساهمات تركت بصماتها على مجال البحث في ميدان علم الاجتماع؛ ذلك ليس في فرنسا وحدها. ولكن أيضاً على الصعيد الأوروبي، ولأبعد منه، العالمي. وصدر أول أعماله عام 1955، بعنوان "تطور العمل في مصانع رونو للسيارات"؛ وكان ذلك بالتحديد، موضوع أطروحاته لنيل شهادة الدكتوراه.

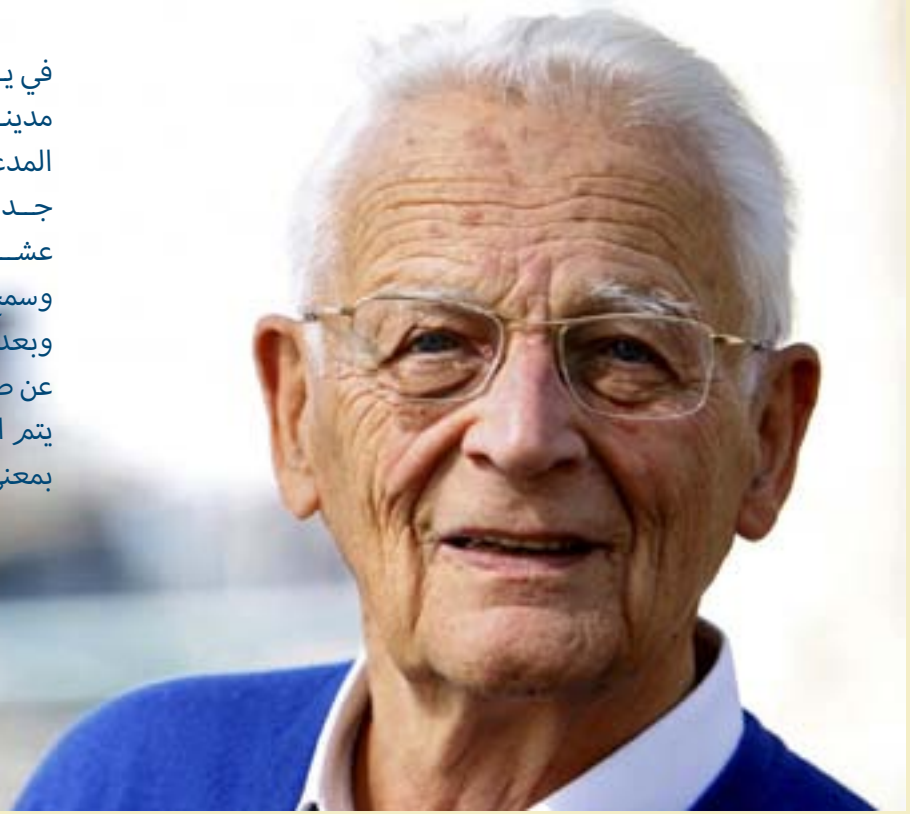
وتجدر الإشارة هنا، إلى أن آلان تورين عاد للدراسة بعد أن قرأ عام 1946

في يوم من أيام عام ٣٤٦ ق.م توجه "ديموستينيس" أحد مواطني مدينة اثينا، إلى مكتب أحد القضاة حيث وجه اتهاماً رسمياً ضد المدعو ميدياس، وبعد النظر قرر القاضي أن يدرج الشكوى ضمن جدول المحكمة، وفي اليوم المحدد تم اختيار ٥٠٠ محلف اختياراً عشوائياً من بين المواطنين الذين تزيد أعمارهم على الثلاثين عاماً، وسمح لكل من ديموستينيس وميدياس بأن يلقياً خطبة أمام المحلفين، وبعد الانتهاء من خطبتهما، كان على المحلفين أن يدلوا بأصواتهم عن طريق الاقتراع السري لصالح أحد الطرفين، وبعد حصر الأصوات يتم النطق بالحكم، ماذا كانت تهمة ميدياس؟ وما علاقة هذه القضية بمعنى الديمقراطية؟

علي حسين



## آلان تورين والبحث عن الديمقراطية في عالم متوحش



أمام التلفزيون". في كتاب "ما هي الديمقراطية" يعالج تورين مسألة مهمة ربما يعاني منها العراق الآن وهي: هل الديمقراطية بالفعل هي حكم الأكثرية؟ أم أنها إلى جانب ذلك هي ضمانات الأقلية، وتورين يدعو إلى نظام سياسي، يسعى إلى الجمع بين قانون الأكثرية واحترام الأقليات، وإلى عملية استيعاب المهاجرين ضمن شعب معين، وإلى إيجاد طريقة تمكن النساء من الوصول بصورة طبيعية إلى موقع القرار السياسي، وهو يرى أن قوة الديمقراطية تنأت من النضال الذي تمارسه القوة المجتمعية الفاعلة، ضد منطق الأجهزة المسيطرة، حيث ينبغي لنا حسب تورين أن نضع شروطاً مؤسسية تشكل تعريف الديمقراطية بذاتها، ونفضي إلى امتزاج التنوع الثقافي عبر انضواء الجميع تحت وحدة القانون والعلم وحقوق الإنسان.. يعلن تورين بوضوح أن "العالم الإنساني قد تم اجتياحه من اللاإنساني وما فوق البشري كليهما معاً، ولم يعد الاجتماعي يمثل الإنساني حصراً"، وهو ما دفعه إلى التأكيد بأننا الآن وبسبب سياسات الحكومات دخلنا مرحلة نهاية الاجتماعي وزواله وتلاشيه، فبدل أن يكون العالم الحديث مأوى للإنسان ومسكناً له، تحول إلى معتقل.

يصر تورين في كتابه "ما هي الديمقراطية" على القول إن الديمقراطية والتنمية لا يمكن أن تعيشا إلا متحدتين، لا مفترقتين، وهو يرى أن التنمية السلطوية تنتج أزمات اجتماعية متزايدة الخطورة، والديمقراطية التي تتحول إلى محض سوق سياسية مفتوحة، ولا تتحدد بكونها تسييراً متوازياً للتغيرات التاريخية ولصالح الأفراد والمجتمع معاً، ستضيع في النهاية في ماتهة بيروقراطية الأحزاب والفساد السياسي.

فالياسا، الذي أصبح فيما بعد، رئيساً لجمهورية بولندا.

رفض طروحات صموئيل هنتنغتون حول صدام الحضارات، وسخر من مقولة فوكوياما "نهاية التاريخ"، والتي يرى فيها فوكوياما الانتصار الكامل والنهائي للمعسكر الرأسمالي ولنظرياته الليبرالية، وفشل النظريات الاشتراكية، حيث يطرح تورين بديلاً آخر يتعلق بما أسماه "نهاية المجتمعات"، والذي عنون به أحد كتبه، حيث يجد تورين أن الأزمة المالية والاقتصادية العالمية التي انطلقت في عام ٢٠٠٨ لتشمل آثارها، العالم كله والتي لم يشهد لها مثيلاً إنما تمثل "قطيعة عميقة" بين الرأسمالية المالية التي تجد تعبيراتها البليغة في الأسواق المالية، وبين الاقتصاد بالمعنى الرأسمالي الإنتاجي. تلك القطيعة تمثل دلالة واضحة، برأيه، على نهاية المجتمعات الصناعية التي قامت قبل حوالي قرنين من الزمن.

عندما تندلع أحداث ٦٨ في فرنسا والتي سميت بثورة الطلبة، يقف تورين إلى صفها ويصدر عن الحركة كتاباً بعنوان "حركة مايو أو الشيوعية الطوباوية"، حيث وجد في هذه الحركة لحظة أساسية في دخول الثقافي والمعرفي والفني إلى ساحة التأثير السياسي، حين اعتبرها بمثابة هجمة الثقافة على القرار السياسي وشبهها بهيجان بركان يفرض حراكه الداخلي، وقد وجد في حركة الطلاب تعبيراً عن "حراك سياسي لم يعرف كيف يجسده السياسيون في الأطر التقليدية للعمل السياسي".

وضعت كتب آلان تورين ضمن قائمة أفضل مائة كتاب في مجال علم الاجتماع، وتورين الذي يبلغ من العمر ٩٣ عاماً، لا يزال يواصل الكتابة وقد صرح لإحدى الصحف "اعتقدت أنه عند شيخوختي ستكون لدي رغبة، أقل فأقل، للتفكير الجدي، لكن من دون أن أنام، مع ذلك،

هي التي فرضت طوال حقبة مديدة تصوراً متواضعاً للديمقراطية بوصفها محاولة للحد من سلطة الدولة وهيمنتها، ويعترف تورين أن هذا الحد الضروري لهيمنة الدولة ليس بحد ذاته ضماناً للديمقراطية، فهو قد لا يتأدى في نهاية المطاف إلا إلى هيمنة سلطة المال والإعلام، هذا إن لم يؤدي إلى تحويل الحوار السياسي الذي هو شرط لازم للديمقراطية إلى مواجهة عنيفة.

في الثالث من آب عام ١٩٢٥ ولد آلان تورين في بلدة على شاطئ بحر المانش. والده طبيب ميسور الحال، ووالدته تعمل في التدريس، حاولت أن تعلم أنها كيف يجب الحرية والعلم والمعرفة، التحق عام ١٩٤٥ بمدسة المعلمين العليا في باريس، التي تخرج منها جان بول سارتر وريمون أرون وسيمون دي بوفوار وميرلو بونتي وغيرهم من الأعلام، لكنه بعد عامين يترك الدراسة، ليقرر السفر إلى هنغاريا ومن بعدها إلى يوغسلافيا، ثم يعود إلى فرنسا ليعمل عاملاً في أحد المناجم، كانت تجربة العمل في المناجم مرحلة غنية في حياة تورين حيث قربته من المسائل المتعلقة بالصناعة وعالم رجال الأعمال، وتعرف من خلالها على الحياة الاجتماعية للعمال، الأمر الذي مكّنه من أن يصدر أول كتبه عام ١٩٥٥ وكان بعنوان "تطور العمل في مصانع السيارات" والكتاب هو أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه، بعدها يسافر إلى تشيلي، يتزوج هناك وتصبح بلدان أميركا الجنوبية موضوع أبحاثه، حيث أصدر كتابه الشهير "الكلمة والدم" عن معاناة عمال المناجم في تشيلي. ساهم عام ١٩٥٩ في تأسيس مجلة "سوسيولوجيا العمل". وحصل عام ١٩٦٤ على دكتوراه ثانية من خلال أطروحته "سوسيولوجيا الفعل الاجتماعي".

يذهب إلى بولندا ليعايش تجربة العمال هناك، ويعقد صداقة مع رئيس نقابة التضامن ليش

حسبما جاء في خطبة ديموستينيس الموجهة إلى هيئة المحلفين، فقد كان ديموستينيس في مسرح ديونيسوس عندما وجه إليه ميدياس لكلمة سببت له إضافة إلى الإصاغة الجسدية، إهانة شنيعة على مرأى ومسمع من الناس، لقد كان فعلاً يتسم بالوقاحة، وأدعى ديموستينيس أن الأمر لا يتعلق بالإهانة الشخصية فقط، إذ أن الأمر يُعد إهانة لجموع المواطنين، لأن ديموستينيس كان وقت الحادثة يعمل مشرفاً على الاحتفال السنوي لديونيسوس، وعندما وقع الحادث قام ديموستينيس باتهام ميدياس وصوت آلاف المواطنين الحاضرين إلى الحفل بإدانة سلوك ميدياس، إلا أن تصويت المشاهدين بالإدانة لم يكن سوى توبيخ أدبي، أما إذا أراد ديموستينيس أن يعاقب المعتدي حقاً، كان لزاماً عليه أن يقيم دعوى أمام هيئة محلفين، وقد أتاح لنا قرار المحكمة الشعبية وخطبة ديموستينيس أن نختلس نظرة خاطفة خلف الأجهزة الحكومية في أثنينا، لنلاحظ الأداء الحقيقي لأول ديمقراطية في العالم، حيث ترينا خطبة ديموستينيس كيف يقدم مواطن أثنيني نفسه إلى المحلفين من الجمهور، وكيف يحدد علاقته ببقية المواطنين، وبخصمه وبمواطني النخبة في أثنينا، وفي خطبته يعلن ديموستينيس أنه ليس ضعيفاً وكان بإمكانه الرد على اعتداء ميدياس، لكنه أراد أن يقف في صف القوانين، بل في عبارة درامية يقول إن قوانين أثنينا هي أهله وناسه.

يخبرنا آلان تورين في كتابه الممتع "ما هي الديمقراطية" أن الديمقراطية رغم أنها ممارسة قديمة، إلا أنها كنظرية، فكرة جديدة، وهذه الفكرة نمت وتطورت فوق أنقاض فكرة الثورة. فبقدر ما كان القرن العشرين في نصفه الأول قرن الأمل الثورية، كان في نصفه الثاني قرن البيروقراطية والتسلط. ويؤكد تورين أن خيبة الأمل بالثورة،